أما النقطة التي لا ينبغي اهمالها فهي مستوى الأداء، فالمقاومة رغم تضحياتها الهائلة غير أن أخطاءها لم تنل ما يكفي من النقد والتصويب وبالتالي ترميم عيوبها ورفع مستوى فاعليتها، بما يتطلبه ذلك من تجديد قيادي ومأسسة قيادية توحد بين التخصص والكفاءة والجماعية، وهذا تعرى تماما وتكشفت عوراته عندما ظهر نموذج آخر، تجربة حزب الله. فالمقارنة وسيلة للمعرفة.

ويجوز الافتراض هنا، أن ذلك يحيلنا إلى فقر التخطيط الستراتيجي وعدم الافادة من الكادرات النابهة والموهوبة لإغناء العقل القيادي. أما البلاغة اللفظية والشعاراتية وتمايز أسماء قيادية وتضحيات قاعدية فلم تكُ كافية للتغطية على القصورات والاخلالات.

وعلى سبيل المثال كان يتعين اسناد وتعزيز الحركة الوطنية الأردنية لكيما تكون حليفا وحاميا، كما بناء وجود سري قادر على المقاومة والاستمرار، والأمر نفسه في لبنان، بما يضمن دوراً دائماً رئيسياً لساحة الخارج، غير أن هذا شابه خلل بنيوي. كما كان يمكن الدأب على حياة التقشف الثوري ونظافة الصفوف التي عرفتها المقاومة الفلسطينية في سنواتها الأولى، غير أن البترودولار أحدث تحولات معاكسة بعدئذ، كان لها اسقاطاتها الاجهاضية والتخريبية... كما كان يمكن اعتماد قيادة جماعية بدل قيادة فردية مرة تصيب ومرة تخيب ومرة تبدع ومرة تدمر. ناهيكم عن أن التنبه للعمل الجماهيري في الداخل لم يكن بالدينامية الكافية وجاء متأخراً، فقد كانت المقاومة المسلحة هي الفيصل ومقياس العمل، دونما تهيئة تنظيمية كافية أو تربية أمنية كافية أو إعداد قتالي كافٍ للصمود وتأدية المهمات. أما الاتجاه الشيوعي الذي انحاز للمقولات الطبقية والعمل النقابي والجماهيري فكان محدود الوزن ويغرد خارج سرب العمل الفدائي، فانطبقت عليه مقولة انجلز (تأتي لحظات في التاريخ إما أن تقتنصها أو تبقى في معزل) رغم أن تراكمه الكادري وخبرته السياسية ومرشده الفكري كلها عوامل، كان يمكن أن تساعده على الاضطلاع بدور رئيس فيما لو انخرط في بدايات العمل الفدائي.

ورغم السلبيات التي يجدر قراءتها تاريخيا، وما أفضت إليه لاحقا غير أنه لا يجوز خلط الأوارق. فما هو مركزي هو قدرة البندقية على الصمود في الخارج وتوسيع صفوفها واستقطاب التأييد لها، والقيام بأعمال مدوية فرضت القضية الفلسطينية على أجندة العالم والضمير العالمي، واستمرار النضال في الداخل، الذي جمع أشكال مواجهة متعددة، أعلاها وتيرة في قطاع غزة حيث تمايزت الجبهة الشعبية فيما تمايزت فتح في الضفة، بصرف النظر عن المبالغات في الإعلام الفلسطيني عن حجم الهجمات الفدائية وخسائر العدو. وفيما أفرطت فتح بالقول (إنها جاهزة